مبارك الاسم أغرّ اللقب كريم المرثى شريف النسب(١)

فانك تجد في « المرثي» تأليفاً يكرهه السمع وينبو عنه ، وأين كلمة «النفس» من هذه اللفظة الثقيلة ؟

الثالث : أن تكون غير متوعرة وحشية كقول أبي تمام :

لقد طلعت في وجه مصر بوجهه بلا طائر سعدٍ ولا طائر كهلر

قال «كهلا» هنا من ذهب اللغة ، ورُوي أن الاصمعي لم يعرف هذه الكلمة وانها ليست موجودة الا في شعر بعض الهذليين وهو قوله:

فلو أن سلمى جاره أو أجاره رياح بن سعد ردّه طائر كَهْلُ

وقيل : إن الكهل الضخم ، وهي لفظة ليست قبيحة التأليف لكنها وحشية غريبة لايعرفها مثل الاصمعي ولهذا اعتمد الحذاق من الشعراء على اختيار اسماء المنازل والنساء في الغزل وتجنبوا مالا يحسن لفظه، وعابوا على جرير قوله :

وتقول بَوْزَعُ قد دببت على العصا هلاّ هزئت بغيرنا يابَوْزَعُ

وذكروا أن الوليد بن عبد الملك قال له : أنشدت شعرك ؛ «بوزع»؛

وقد قال ابن سنان : «وأنا أكره من قول كثير بن عبد الرحمن صاحب عزّة :

وما روضة بالحزن طيبة الثرى يمجّ الندى جثجاثها وعرارها

ذكر «الجثجاث» لأنه اسم غير مختار، ولو أمكنه ذكر غيره كان عندي أليق وأوفق» ولا أحب أيضاً تسمية أبي تمام صاحبه ـ علاثة ـ ونداءه بالترخيم في قوله:

قف بالطلول الدارسات علاثا أضحت حبال قطينهن رثاثا

وإن كان الروي قاده إلى ذلك ، فليت شعري من حظر عليه القوافي واقتصر به على الفاء دون غيرها من الحروف» (٢).

---

(١) كريم المرثى: كريم النفس.

(٢) سر الفصاحة ص٧٦.

الرابع : أن تكون الكلمة غير سائغة عامية، ومثال العامية قول أبي تمام:

جليت والموت مبدٍ حُرَّ صفحته وقد تقرْعَنَّ في أفعاله الأجلُ

فإن «القرعن» مشتق من اسم «قرعون» وهو من ألفاظ العامية ، وعادتهم أن يقولوا : «قرعن فلان» إذا وصفوه بالجربة .

ومنه قول أبي نصر عبد العزيز بن نباتة:

أقام قوام الدين زيغ لسانه وأنضج كيّ الجرح وهو قطير

لفظة «قطير» عامية مبتذلة.

ومنه قول أبي تمام :

قد قلت لما لجّ في صدّه أعطف على عبدك بالقابري

فإن «القابري» من ألفاظ عوام النساء .

ومن ذلك لفظة «أوجعتها» في قول ابن نباتة :

فقد رفعت أبصارها كل بلدة من الشرق حتى أوجعتها الاخادع

ولفظة «الجورب» في قول المتنبي :

تستغرق الكفّ قوديه ومنكبه وتكتسي منه ربع الجورب الخلق

الخامس : أن تكون الكلمة جارية على العرف العربي الصحيح غير شاذة : ويدخل في هذا القسم ماينكره اهل اللغة ويردّه علماء النحو من التصرّف الفاسد في الكلمة ،وقد يكون ذلك لاجل أن اللفظة بعينها غير عربية كما أنكروا على أبي الشيص قوله :

وجناح مقصوص تحيّف ريشه ريب الزمان تحيّف القرّاض

وقالوا : ليس «القراض» من كلام العرب، ولم يسمع عنهم إلاّ «مقرّض» .

وقد تكون الكلمة عربية الا انها قد غُيّرت عن غير ما وضعت له في عرف اللغة، كما قال البحتري :

يشقّ عليه الريح كل عشية جيوب الغمام بين بكر وأيم

فوضع «الايم» مكان «الثيب» وليس الامر كذلك ، ليس الأيّم الثيّب في كلام العرب ، انما «الايم» التي لازوج لها بكراً كانت أو ثيبا :